

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن

دراسة موضوعية

د.مي بنت عبدالله الهدب

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث: يُعنى هذا البحث ببيان خطاب الملائكة -عليهم السلام- للمؤمنين وأثره في تحقيق الطمأنينة لهم، ويهدف إلى جمع ما تفرق من مواضع خطاب الملائكة للمؤمنين في القرآن، وإبراز أثره في تحقيق الطمأنينة من خلال الوقوف على ألفاظ هذا الخطاب، وبيان أقوال المفسرين الذين نصّوا على الطمأنينة كأثر من آثاره، وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وخلصت إلى نتائج منها:

__ أن الطمأنينة أقوى في دلالتها من السكينة؛ لأن الطمأنينة دائمة، ويخالطها الأُنس، وهي بذلك أليق بأن تكون أثرًا من آثار خطاب الملائكة في القرآن.

__ أن خطاب الملائكة للمؤمنين يُعدّ من أهم أنواع خطاب الملائكة في القرآن لتعدد مواضعه، واختلاف موضوعاته.

__ أن دور الملائكة في تحقيق طمأنينة المؤمن هو دور شامل لأُمور المؤمن في الدنيا والآخرة، وهو متأكد في خطابهم في حال الفرح، والابتلاء، والفرج، وغيرها من الأحوال.

__ أن للمفسرين دورًا بارزًا في كشف آثار خطاب الملائكة في القرآن.

__ أن الوقوف على خطاب الملائكة للمؤمن، ودراسة أثره، يزيد من محبة المؤمن وولايته لهم.

الكلمات المفتاحية: الخطاب-الملائكة-الطمأنينة-المؤمن.

د.مي بنت عبدالله الهدب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد عرض القرآن الكريم أنواعاً من الخطاب في مواضع كثيرة، كخطاب الله تعالى، وخطاب الأنبياء عليهم السلام، وخطاب الملائكة، وغير ذلك، ولهذه الأنواع دلالتها البليغة وأثرها في تحقيق أغراض معينة، ولا يخفى أن الدراسة الموضوعية لأحد أنواع هذا الخطاب من خلال القرآن الكريم هو مما يجدر الوقوف عليه في الدراسات القرآنية؛ لما لهذه الدراسة على وجه الخصوص من دور مهم في تحديد مواضع الخطاب، وتصنيف موضوعات وروده، وبيان مقاصده وآثاره، وكشف الصورة الكلية له، ومن هنا كان اختيار هذا البحث ليعرض أحد أنواع هذا الخطاب وهو خطاب الملائكة في القرآن الكريم، ولما كان لخطاب الملائكة أنواع تختلف باختلاف المخاطب، فقد اقتصر هذا البحث على ما كان خطاباً مباشراً للمؤمنين، أو خطاباً متعلقاً بشأنهم، وله أثر في تحقيق الطمأنينة لهم، وقد جعلته بعنوان: (خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن).

مشكلة البحث:

يمكن لهذا البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ماهي أنواع خطاب الملائكة الوارد في القرآن الكريم؟
٢. ما هي المواضع التي ورد فيها خطاب الملائكة للمؤمنين؟ وما موضوعاتها؟
٣. ما أثر خطاب الملائكة على المخاطبين من المؤمنين بصفة خاصة؟
٤. ما هو دور المفسرين في بيان أثر خطاب الملائكة للمؤمنين؟

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

أهداف البحث:

١. عرض أنواع خطاب الملائكة الوارد في القرآن الكريم بصفة عامة.
٢. جمع ما تفرق من مواضع خطاب الملائكة للمؤمنين في القرآن ودراستها، وتصنيفها وفق الموضوعات المرتبطة بها.
٣. إبراز أثر خطاب الملائكة للمؤمنين في تحقيق طمأنينتهم، وذلك من خلال الوقوف على ألفاظ هذا الخطاب الدالة على هذا الغرض.
٤. بيان أقوال المفسرين الذين نصّوا على الطمأنينة كأثر من آثار هذا الخطاب على اختلاف مواضعه.

أهمية البحث:

١. عناية القرآن الكريم ببيان خطاب الملائكة -عليهم السلام- للمؤمنين في مواضع عديدة، مما يجدر الوقوف عليه؛ لكشف معاني هذا الخطاب، وتجليه مقاصده وآثاره.
٢. بروز الطمأنينة كأثر عظيم من آثار خطاب الملائكة للمؤمن في الدنيا والآخرة، وقد جاءت شواهد ذلك في مواضع عديدة.
٣. أهمية الوقوف على خطاب الملائكة ودلالته؛ حيث يُعدّ ذلك وسيلة من وسائل معرفتهم.
٤. الأهمية العقدية لهذا الخطاب وما ارتبط به من موضوعات؛ لكونه من الغيب الذي امتدح الله تعالى المؤمنين به، فالملائكة غيب، وخطابهم الوارد في القرآن في قصص ماضية أو أمور مستقبلية هو غيب أيضاً.

حدود البحث:

الآيات المتعلقة ببيان خطاب الملائكة للمؤمنين، أو الخطاب المرتبط بشأنهم، مما ظهر أثره في تحقيق الطمأنينة لهم، وقد ورد هذا الخطاب في ٥٧ آية، متفرقة في ١٤ سورة من سور القرآن الكريم.

د.مي بنت عبدالله الهدب

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، متبعة في ذلك الخطوات الآتية:

١. استقراء الآيات الواردة في خطاب الملائكة للمؤمنين، أو الخطاب المرتبط بشأنهم.
٢. تحليل ألفاظ الخطاب للوقوف على أثرها في تحقيق الطمأنينة للمؤمنين بالاعتماد على أقوال المفسرين فيها، وبالنظر في الآيات التي جاء الخطاب في سياقها، ولها تعلق به.
٣. تضمين البحث الآيات التي لم يُصرَّح فيها بصاحب الخطاب، وذلك في حال نسب المفسرون الخطاب فيها إلى الملائكة ولو على وجه الخلاف.

إجراءات البحث:

تمت كتابة البحث وفق الإجراءات الآتية:

١. كتابة الآيات بالرسم العثماني وعزوها في المتن بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
٢. إتباع ذكر العَلَم في البحث بذكر تاريخ وفاته.
٣. العزو إلى المصدر مباشرة في حال النقل منه بالنص، وتصدير ذلك بكلمة (يُنظر) عند التصرف فيه.
٤. عزو الأحاديث إلى مصادرها، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيئ بذلك.
٥. عزو الآثار الواردة إلى مصادرها الأصلية.
٦. وضع الآثار بين علامتي تنصيص هكذا « »، وأقوال العلماء بين هلالين () .

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مستقلة اعتنت ببيان خطاب الملائكة للمؤمنين وأثره في القرآن الكريم كما هو موضوع هذا البحث، غير أنه قد ظهرت عدة دراسات عامة تناولت الملائكة -عليهم السلام- من خلال القرآن الكريم، وفيما يلي بيان أهمها مع الموازنة بينها وبين هذا البحث:

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

١. تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان، د.عبد العزيز السلمي، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١١ هـ، وقد عرض فيها الباحث علاقة الملائكة بالإنسان في الدنيا ابتداءً بخلق الإنسان، ثم نزول الوحي، وأدوارهم في البشارة والندارة، والنصر والابتلاء، ووظائفهم، وغير ذلك، ثم عرض علاقة الملائكة بالإنسان في الآخرة، وفيه بيان لأعمال الملائكة من قبض الروح، والنفخ في الصور، وتنعيم المؤمنين وتعذيب الكفار، وغير ذلك، ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة من جهة أن الدراسة اعتمدت بيان علاقة الملائكة بالإنسان على وجه العموم، أما هذا البحث فهو في بيان خطاب الملائكة وأثره على المؤمن خاصة، كما يظهر الفرق في طبيعة هذه الدراسة حيث إنها تفسير تحليلي لكل الآيات الواردة في الموضوع، أما هذا البحث فهو دراسة موضوعية لخطاب الملائكة، وبيان دلالة ألفاظه، كما أنه لم تظهر عناية الدراسة المذكورة ببيان أثر الطمأنينة من خلال ألفاظ الخطاب كما هو موضوع هذا البحث.

٢. صفات الملائكة ووظائفهم في القرآن الكريم، د. محمد إلياس أنور، وهو بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، العدد الرابع، ١٤٣٨ هـ، وقد عرض فيه الباحث صفات الملائكة وعبادتهم، ووظائفهم في الدنيا والآخرة، ويظهر الفرق بين هذا البحث والدراسة المذكورة من جهة محل البحث، فالدراسة المذكورة هي دراسة موضوعية لصفات الملائكة ووظائفهم العامة في الدنيا والآخرة، أما هذا البحث فهو دراسة موضوعية لخطاب الملائكة في القرآن، ودلالة ألفاظه على معنى الطمأنينة للمؤمن.

٣. الملائكة في القرآن الكريم (دراسة عقائدية)، د. معالم المشهداني، والباحثة فرح كريم، وهو بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، المجلد (٩)، العدد (١٧)، وقد اشتملت هذه الدراسة على بيان الإيمان بالملائكة وأدلتها، وصفات الملائكة، وأسمائهم، ووظائفهم، وثمرات الإيمان بهم، ويظهر

د.مي بنت عبدالله الهدب

الفرق بينها وبين هذا البحث في طبيعتها العقديّة، كما اشتمل هذا البحث على بيان خطاب الملائكة ولم يظهر بيان ذلك في الدراسة المذكورة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: التعريف بعنوان البحث، وفيه:

- تعريف الخطاب في اللغة والاصطلاح.
- تعريف الملائكة في اللغة والاصطلاح.
- تعريف الطمأنينة في اللغة والاصطلاح.
- اقتران ذكر الملائكة بالطمأنينة في القرآن.

المبحث الأول: أنواع خطاب الملائكة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خطاب الملائكة لله عزوجل.

المطلب الثاني: خطاب الملائكة لبعضهم البعض.

المطلب الثالث: خطاب الملائكة للبشر.

المبحث الثاني: خطاب الملائكة في الحياة الدنيا وأثره في تحقيق الطمأنينة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: خطاب الملائكة بالدعاء للمؤمنين.

المطلب الثاني: خطاب الملائكة في شأن الوحي.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

المطلب الثالث: خطاب الملائكة عند الإتيان بالبشارة.

المطلب الرابع: خطاب الملائكة عند وقوع المعجزات.

المطلب الخامس: خطاب الملائكة عند نزول العذاب.

المطلب السادس: خطاب الملائكة عند الاحتضار.

المبحث الثالث: خطاب الملائكة في الآخرة وأثره في تحقيق الطمأنينة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطاب الملائكة قبل دخول الجنة.

المطلب الثاني: خطاب الملائكة بعد دخول الجنة.

• الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

• فهرس المصادر والمراجع.

د.مي بنت عبدالله الهدب

التمهيد

التعريف بعنوان البحث

تعريف الخطاب في اللغة والاصطلاح:

الخطاب لغة: يرجع الخطاب إلى الفعل الثلاثي (حَطَبَ)، ولهذا الأصل معنيان: الأول: الكلام بين اثنين، يُقال خَاطَبَهُ يَخَاطِبُهُ خِطَابًا، والخُطْبَةُ من ذلك، والحَطْبُ: الأمر يقع، وإنما سُمِّيَ بذلك لما يقع فيه من التَّخَاطُبِ والمراجعة^(١)، والخطاب: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً، وهما يتخاطبان، والمخاطبة، مُفَاعَلَةٌ، من الخِطَابِ والمُشَاوَرَةِ^(٢)، والثاني: اختلاف لونين^(٣)، والمراد هنا من هذين المعنيين هو المعنى الأول.

الخطاب اصطلاحًا: عرّفه العلماء بتعريفات متقاربة، فقول: الخطاب الكلام^(٤)، وقيل: هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام^(٥)، وقيل: هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئًا^(٦)، وهو في هذا البحث مضاف إلى الملائكة، ومقيّد بوروده في القرآن، فيكون المراد به: كلام الملائكة الوارد في القرآن الكريم.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس ١٩٨/٢، مادة (حَطَبَ).

(٢) ينظر: العين: للفراهيدي ٢٢٢/٤، (باب الخاء والطاء والباء)، وتهذيب اللغة: للأزهري ١١٢/٧، ولسان العرب: لابن منظور ٣٦١/١، كلاهما تحت مادة (حَطَبَ).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة ١٩٨/٢، مادة (حَطَبَ).

(٤) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموعة من المؤلفين) ٢٤٣/١.

(٥) ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: لتركيا الأنصاري ص ٦٨، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:

للكفوي ص ٤١٩، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي ٧٤٩/١.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي ص ١٥٦.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

تعريف الملائكة في اللغة والاصطلاح:

الملائكة لغة: جمع ملك، و"الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة"^(٧)، وأصله مَأَلَك من الأَلُوك، وهي الرسالة، ثم قُلبت وقدمت اللام فقبل مَأَلَك، ثم حُفِّف بحذف الهمز لكثرة الاستعمال وصار ملك^(٨)، وقيل: هو من المَلِك، وهو القوة، والميم فيه أصلية^(٩)، والجمع ملائكة، وملائك^(١٠).

الملائكة اصطلاحاً: الملائكة -عليهم السلام- أجسام لطيفة أُعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات، حُلقت من نور^(١١)، وهم عباد الله المكرمون، والسفرة بينه تعالى وبين رسله -عليهم السلام-، الكرام خُلِقُوا وَحُلِقُوا، الطاهرين ذاتاً وصفة وأفعالاً^(١٢)، وهم الموكلون بالسماوات والأرض^(١٣).

(٧) مقاييس اللغة ٣٥١/٥-٣٥٢.

(٨) ينظر: العين ٣٨٠/٥، (باب الكاف واللام والميم)، وتهذيب اللغة ٢٠٢/١٠، مادة (ألك)، ولسان العرب ٤٩٦/١٠، مادة (ملك)، ٣٩٤/١٠، مادة (ألك).

(٩) ينظر: تاج العروس: للزبيدي ٣٥٥/٢٧، مادة (ملك).

(١٠) ينظر: مختار الصحاح: للرازي ص ٢٩٨، مادة (ملك).

(١١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني ٣٠٦/٦، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: لابن تيمية ٥٣٣/٢.

(١٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: للحكيمي ٦٥٦/٢.

(١٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي ص ٢٧٩.

د.مي بنت عبدالله الهدب

تعريف الطمأنينة في اللغة والاصطلاح:

الطمأنينة لغة: قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (الطاء والميم والنون أصيل بزيادة همزة، يقال: اطمأن المكان يطمئن طمأنينةً، وطمأننت منه: سَكَنْتُ) (١٤)، واطْبَأَنَّ مثله على الإبدال (١٥)، و"اطمأنَّ الرجل، واطمأنَّ قلبه، واطمأنت نفسه إذا سكن واستأنس" (١٦)، والمطمئن: المستوطن في الأرض، واطمأن عمّا كان يفعل: أي تركه (١٧).

الطمأنينة اصطلاحاً: الطمأنينة في اصطلاحها العام هي: زيادة توطين وتسكين تحصل للنفس على ما أدركته (١٨)، وقيل: هي الاطمئنان والثقة وعدم القلق (١٩)، وقيل: "هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به" (٢٠)، وقيل: هي السكون بعد الانزعاج (٢١).

اقتران ذكر الملائكة بالطمأنينة في القرآن:

جاء الربط في هذا البحث بين خطاب الملائكة والطمأنينة استناداً إلى ما ورد في تفسير آيات خطابهم للمؤمنين من أثر في تحقيق الطمأنينة، كما استند اختيار الطمأنينة دون غيرها من الألفاظ في معناها لما يأتي:

أولاً: اقتران ذكر اثنين من مشتقات الطمأنينة بذكر الملائكة، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، الأول: ذكر الاطمئنان حالاً من أحوال الملائكة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ تَسْمَعُوا لَهَا وَأَنْتُمْ حِينٌ﴾ [الإسراء: ٩٥]،

(١٤) مقاييس اللغة ٤٢٢/٣، مادة (طمن).

(١٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ٢١٥٨/٦، ولسان العرب ٢٦٨/١٣، مادة (طمن).

(١٦) العين ٤٤٢/٧، (باب الطاء والنون والميم).

(١٧) ينظر: لسان العرب ٢٦٨/١٣، وتاج العروس ٣٥٧/٣٥، مادة (طمن).

(١٨) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١١٤٠/٢.

(١٩) ينظر: المعجم الوسيط ٥٦٧/٢.

(٢٠) الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلة: لابن القيم ٧٤١/٢.

(٢١) المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ص ٥٤٢.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

ومعنى مطمئنين: مستوطنين، مقيمين^(٢٢)، والاستيطان والإقامة يشتملان على معنى السكون، وهو القدر المشترك بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي للطمأنينة، قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في تفسير هذه الآية: (بمشون مطمئنين، أي: مستوطنين الأرض، ومعنى الطمأنينة: السكون)^(٢٣)، وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): (مطمئنين حال، والمطمئن: الساكن، وأريد به هنا المتمكن غير المضطرب)^(٢٤).

والثاني: ذكر الاطمئنان أثرًا من آثار وجود الملائكة، وذلك في مواطن القتال، قال تعالى: ﴿أَبْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لِنُقْتَلَ بِئْسَ مَثَلًا لِمَنْ كَفَرَ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ومثله الموضوع الثالث: ﴿لَمْ يَلْمِ لِي لِي وَلَا يَلْمِ لِي لِي﴾ [النفال: ١٠]، وقد أشار المفسرون إلى هذا الأثر، قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): (الضمير في قوله: ﴿لَمْ يَلْمِ لِي لِي﴾ للإمداد والوعد، وثبّه أنه إنما أراد بوعدهم وإمدادهم الملائكة نعمة عليهم، وهي مسرتهم وسكون جأشهم)^(٢٥)، وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (ما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالها إلا بشارة لكم، وتطيينًا لقلوبكم، وتطمينًا)^(٢٦).

ثانيًا: أن الطمأنينة هي أقوى وأعظم في الدلالة، فيكون ارتباطها بخطاب الملائكة أولى من غيرها من الألفاظ المرادفة، ومن أشهرها لفظ (السكينة)^(٢٧)، وقد أورد ابن القيم (ت ٧٥١هـ) الفرق بين هذين اللفظين مُظهرًا مزية الطمأنينة في دلالتها فقال: (السكينة تصول على الهيبة الحاصلة في القلب، فتخدمها في بعض الأحيان فيسكن القلب من انزعاج الهيبة بعض السكون، وذلك في بعض الأوقات، فليس حكمًا دائمًا مستمرًا، وهذا يكون

(٢٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج ٢٦١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب ٤٢٩٣/٦، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي ١٦٣/٣.

(٢٣) زاد المسير ٥٥/٣.

(٢٤) التحرير والتنوير ٢١٣/١٥.

(٢٥) تفسير الراغب الأصفهاني ٨٤٥/٣.

(٢٦) تفسير القرآن العظيم ١١٤/٢.

(٢٧) ينظر: لسان العرب ٢١٣/١٣، والمعجم الوسيط ٤٤٠/١.

د.مي بنت عبدالله الهدب

لأهل الطمأنينة دائماً، ويصحبه الأمن والراحة بوجود الأُنس، فإن الاستراحة في السكينة قد تكون من الخوف والهيبه فقط، والاستراحة في منزلة الطمأنينة تكون مع زيادة أنس، وذلك فوق مجرد الأمن، وقدر زائد عليه^(٢٨)، ثم قال: (الطمأنينة أعم، فإنها تكون في العلم والخبر به، واليقين والظفر بالمعلوم، ولهذا اطمأنت القلوب بالقرآن لما حصل لها الإيمان به...وأما السكينة: فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه، وسكونه وزوال قلقه واضطرابه، كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته)^(٢٩).

المبحث الأول

أنواع خطاب الملائكة في القرآن الكريم

المطلب الأول: خطاب الملائكة لله عزوجل.

(٢٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٤٨٢/٢.

(٢٩) المرجع السابق.

د.مي بنت عبدالله الهدب

□□□□سم□□□□ [الذاريات: ٢٤-٢٥]، فكان السلام مبدأ البشرى^(٤٥)، وفي معناه قولان: أحدهما:

أي مسلمين غير محاربين؛ لتسكن نفس إبراهيم، والثاني: أنه دعاء بالسلامة، وهو قول الجمهور؛ لأن التحية بالسلام تقتضي السكون والأمان^(٤٦).

٢. إزالة الخوف وأسبابه من نفس إبراهيم عليه السلام، وفيه تهينة لتقع البشرى موقعها، وعناية عظيمة بالمبشر، "وذلك أنه لما قدّم طعامه عليه السلام إليهم - فيما ذكر - كفّوا عن أكله؛ لأنهم لم يكونوا ممن يأكله، وكان إمسآكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه مستنكرًا، ولم تكن بينهم معرفة، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة"^(٤٧)، فكان جوابهم: □□□□□□ [هود: ٧٠]، مكاشفة منهم إياه بأنهم ملائكة^(٤٨)، وقد أشار ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) إلى أثر الكشف عن أنفسهم في إزالة الخوف عن إبراهيم عند تفسير قوله تعالى: □□□□□□ [هود: ٧٤] فقال: (الروع: الفزع والخيفة... وكان ذهابه بإخبارهم إياه أنهم ملائكة)^(٤٩)، وكذلك أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) حيث قال: (اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة)^(٥٠)، وفي موضع آخر من خطاب الملائكة: □□□□□□ نم □□□□ [الحجر: ٥٣]، قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): (قولهم: □□□□□□ في معنى التعليل للنهي عن الوجل: أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل)^(٥١).

٣. طمأنة فؤاد إبراهيم عليه السلام بعد ورود البشرى العجيبة بضمان تحققها، فعن مجاهد (ت ١٠٤ هـ) في قوله:

□□□□□□□□□□ بي □□ [الحجر: ٥٤] قال: «عجب من كبره، وكبر امرأته»^(٥٢)، وفي قوله: □□ "وجهان:

(٤٥) بنظر: التحرير والتنوير ١١٦/١٢.

(٤٦) ينظر: النكت والعيون ٣٧٠/٥.

(٤٧) جامع البيان ٣٨٧/١٥.

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير ١١٨/١٢.

(٤٩) المحرر الوجيز ١٩٢/٣.

(٥٠) البحر المحيط ١٨٥/٦.

(٥١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٨٠/٢-٥٨١.

(٥٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٣/١٧.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

أحدهما: أنه قال ذلك استفهاماً لهم: هل بشروه بأمر الله؟ ليكون أسكن لنفسه، الثاني: أنه قال ذلك تعجباً من قولهم^(٥٣)، فكان خطاب الملائكة له: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِالْحَجْرِ﴾ [الحجر: ٥٥]، مؤكداً لما بشروه به تحقيقاً، وبشارة له بعد بشارة^(٥٤)، وفي هذا الخطاب جواب عن تعجبه، كما أن فيه زيادة في تطيب نفسه بإعادة البشرى، فإن الإنسان حين يستطيب البشارة ربما يعيد السؤال ليرى تلك البشارة مرة أخرى ومرتين وأكثر؛ طلباً لالتذاذ بسماعها، وطلباً لزيادة الطمأنينة والثوق^(٥٥)، فكان له ذلك.

ويتصل بهذا تعجب امرأته من البشارة بالولد، كما أخبر عنها تعالى بقوله: ﴿لَمَّا نَحْنُ نَحْمِلُ فِي أَرْحَامِنَا نَبِيًّا﴾ [هود: ٧١]-
﴿يَا حَتَّىٰ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وقوله: ﴿لَمَّا نَحْنُ نَحْمِلُ فِي أَرْحَامِنَا نَبِيًّا﴾ [هود: ٧١]-
٧٢]، قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): (زادت تقرير التعجب بجملة ﴿لَمَّا نَحْنُ نَحْمِلُ فِي أَرْحَامِنَا نَبِيًّا﴾... كأنها كانت متددة في أنهم ملائكة فلم تطمئن لتحقيق بشرهم)^(٥٦)، ولما كان المعهود في تمام البشارة إزالة العجب منها عن كل مقصود بها، فقد ظهرت عناية الملائكة بالجواب عن تعجبها المذكور، وتطمينها بتحقيق الوعد من الله تعالى: ﴿يُمِدُّكُم بِرَحْمَتِهِ﴾ [الذاريات: ٣٠]، وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ نَبَاتًا كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وهو على معنى الدعاء من الملائكة^(٥٧)، والدعاء من أعظم أسباب الطمأنينة.

ثانياً: البشارة لذكرى النبي بالولد: جاء خطاب الملائكة بالبشارة لذكرى النبي ﷺ، ويظهر أثره في تحقيق الطمأنينة بما يأتي:

١. استعمال أسلوب النداء المشعر بالاهتمام والعناية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزْ لِي لَمَّا نَحْنُ نَحْمِلُ فِي أَرْحَامِنَا نَبِيًّا﴾ [الأنعام: ١٦٥]، قال ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ): (قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزْ لِي لَمَّا نَحْنُ نَحْمِلُ فِي أَرْحَامِنَا نَبِيًّا﴾ عبارة

(٥٣) النكت والعيون ١٦٤/٣.

(٥٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٥٤١/٤.

(٥٥) ينظر: مفاتيح الغيب ١٥١/١٩.

(٥٦) التحرير والتنوير ١٢١/١٢.

(٥٧) ينظر: تفسير القرآن ٤٤٤/٢، ومعالم التنزيل ٤٥٧/٢، وزاد المسير ٣٨٨/٢.

د.مي بنت عبدالله الهدب

تستعمل في التبشير، وفيما ينبغي أن يُسرع به ويُنهى إلى نفس السامع ليسرّ به، فلم يكن هذا من الملائكة إخباراً على عرف الوحي بل نداء^(٥٨).

٢. الإتيان بالبشارة في حال الاطمئنان بالعبادة، وفي أفضل المواطن، فقد جاء في سياق بيان خطاب الملائكة قوله تعالى: ﴿...﴾^(٥٩)، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته^(٥٩)، والمحراب: أرفع المواضع، وأشرف المجالس^(٦٠).

٣. إدخال الطمأنينة والسرور على قلب الوالد بالثناء على الولد المبشّر به، وذلك في قولهم: ﴿...﴾^(٦١) إليه في الأمور، وحضور أي: ممنوع من إتيان النساء؛ اشتغلاً بخدمة ربه وطاعته، ونبي من الصالحين، وأيّ بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته^(٦١)، وجاء في موضع آخر نداء جبريل عليه السلام لزكريا عليه السلام: ﴿...﴾^(٦٢): أي: ﴿...﴾^(٦٣) [مريم: ٧]، وقد تضمنت هذه البشرية ثلاثة أشياء: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة، الثالث: أن يفرد بتسميته^(٦٣).

٤. إزالة العجب بعد ورود البشارة، لتستقر نفس زكريا عليه السلام، ويطمئن بتحقق الوعد من الله، فحين قال عليه السلام: ﴿...﴾^(٦٤) بن جبريل عليه السلام تن^(٦٤) [آل عمران: ٤٠]، جاء قول الملك^(٦٤)، وقيل: إنه جبريل

(٥٨) المحرر الوجيز ٤٢٨/١.

(٥٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣٧/٢.

(٦٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ٨٤/١١.

(٦١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٩.

(٦٢) ينظر: جامع البيان ١٤٩/١٨.

(٦٣) ينظر: النكت والعيون ٣٥٦/٣.

(٦٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٣٩/٢.

د.مي بنت عبدالله الهدب

٢. تجديد الثناء على الغلام الموهوب بما تسعد به النفس: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ هَارُونَ وَشَاوْنَ﴾ [مريم: ١٩]، والزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة^(٨٢).
٣. ربط هذه المعجزة الواقعة بقضاء الله تعالى الذي لا يُردّ، مما يورث في القلب الرضا والاطمئنان بعد الفزع، قال تعالى: ﴿قَالَ نَبِيُّ رَبِّكَ يُرْسِلُ رُسُلَهُ بِالْحَقِّ وَأَنزَلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا شَاءَ﴾ [مريم: ٢٠-٢١]، أي: كان خلقه منك بغير ذكر أمرًا قد قضاه الله في سابق علمه أنه يكون على ذلك^(٨٣).
٤. مواساتها عند حصول المخاض، وهو من مواضع الكرب والوجل، قال تعالى في وصف حالها: ﴿وَأَنزَلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا شَاءَ﴾ [مريم: ٢٣]، فعند ذلك "سكن الملك روعها، وثبت جأشها، ونادها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها"^(٨٤) ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ هَارُونَ وَشَاوْنَ﴾ [مريم: ٢٤]، أي: ألا تغتمني بالولادة من غير زوج وبالوحدة^(٨٥).
٥. الأمر بالأكل والشرب، وفيهما تلبية لحاجة مريم بعد نصب المخاض، وهذا من كمال العناية بها، وبيان ذلك قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ هَارُونَ وَشَاوْنَ﴾ [مريم: ٢٤-٢٥]، قيل: المراد بالسري الجدول الذي كان قريب جذع النخلة، والرطب الجني هو الذي لم يجف، ولم يبعد عن يدي مجتنيه^(٨٦)، ثم قال: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ هَارُونَ وَشَاوْنَ﴾ [مريم: ٢٦]: "لُحَّ من التمر، لُحَّ من النهر، لُحَّ لِي بَعِيسِي، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب والهني"^(٨٧)، وقد جاء التعبير بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَاتٍ مِثْلَ آيَاتِ هَارُونَ وَشَاوْنَ﴾ في دلالة بديعة على أثر النظر إلى عيسى عليه السلام في تلك الحال العصبية، "فمعنى أقر الله عينه: أي سكن الله عينه بالنظر إلى من

(٨٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩١.

(٨٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٥١٣/٧.

(٨٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩١.

(٨٥) ينظر: تفسير القرآن ٢٨٦/٣.

(٨٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٤/١١-٩٥.

(٨٧) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٢.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

يجبه حتى تقر وتسكن"^(٨٨)، وقيل: لِيَّ معناه نامي، فحَصَّهَا على الأكل والشرب والنوم^(٨٩)، ولا يتمتع
أن تجتمع هذه المعاني كلها لتدلَّ على عظم هذا الخطاب، وأثره في تحقيق الطمأنينة لها بتوفير حاجتها
حال وحدتها في ذلك الموضوع، ونَصَّبها بعد المخاض.

٦. صرَّفَ مريم في تلك الحال إلى ما تأنس برؤيته من الآيات، وتطمئن معه بدلالاتها على الخالق جل وعلا،
ويشهد لذلك قوله: تُخَلِّدْهُنَّ [مريم: ٢٥]، قال القرطبي (ت ٦٧١ هـ): (أمرها بهزّ الجذع اليابس لترى آية
أخرى في إحياء موات الجذع)^(٩٠).

٧. العناية بحاجة مريم النفسية كما تمَّت لها العناية البدنية في خطاب جبريل عليه السلام السابق، وذلك في قوله:
أَأَنْتِ أَمْرٌ نَمِيٌّ فِي مَرِيْمٍ [مريم: ٢٦]، ففيه الطمأنينة بالسلامة من قالة الناس، وقد أمرها
أنها إذا رأت أحداً من البشر أن تقول على وجه الإشارة: نَمِيٌّ نَمِيٌّ، أي: سكوتاً، نَمِيٌّ نَمِيٌّ،
أي: لا تخاطبهم بكلام، لتستريح من قولهم وكلامهم^(٩١).

وبالوقوف على دلالة هذا الخطاب الجليل يتجلى أثره في خروج مريم من هذه المعجزة الواقعة مطمئنة راضية، قريرة
العين بما وهبها سبحانه.

المطلب الخامس: خطاب الملائكة عند نزول العذاب.

أخبر الله تعالى عن تنزّل الملائكة بالعذاب على الأقوام المكذبة في مواضع عديدة، غير أن منها ما ظهر
فيه الخطاب لبعض الأنبياء -عليهم السلام- تطميناً لهم عند وقوع العذاب، كما جاء في قصة إهلاك قوم لوط،

(٨٨) الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١١.

(٨٩) المرجع السابق.

(٩٠) الجامع لأحكام القرآن ٩٤/١١.

(٩١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٢.

د.مي بنت عبدالله الهدب

ومحاورة الملائكة لإبراهيم ولوط -عليهما السلام-، أما إبراهيم عليه السلام فيظهر أثر خطاب الملائكة في تحقيق الطمأنينة له بما يأتي:

١. ترتيب خطاب الملائكة بما يلائم طبيعة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: **أَخِ لِي لِي** [العنكبوت: ٣١]، فمن لطف الله بإبراهيم أن قدّم له البشرى قبل إعلامه بإهلاك قوم لوط؛ لعلمه تعالى بحلم إبراهيم^(٩٢).

٢. الجواب عن مجادلة إبراهيم عليه السلام دفعًا لحوفه وشفقته على لوط ومن آمن معه، وكان لوط ابن أخيه^(٩٣)، قد آمن بإبراهيم، واتّبعه، وهاجر معه^(٩٤)، كما قال تعالى: **أَتَيْتِي** [العنكبوت: ٢٦]، وقد أخبر تعالى عن وقوع هذه المجادلة بقوله: **أَبْرَ [هود: ٧٤]**، و"كان جداله الرسل على وجه المحاجة لهم"^(٩٥)، قال سعيد بن جبير (ت ٩٤هـ): «لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم: **نَمِ نِي**، قال لهم إبراهيم: أتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا، قال: أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنًا؟ قالوا: لا، وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكت عنهم واطمأنت نفسه»^(٩٦).

وقد ذكر تعالى بيان هذه المجادلة في موضع آخر، فقال: **أَيُّ يِي** [العنكبوت: ٣٢]، "وكان جوابهم مطمئنًا إبراهيم، فالمراد من علمهم بمن في القرية علمهم باختلاف أحوال أهلها المرتب عليها استحقاق العذاب، أو الكرامة بالنجاة"^(٩٧)، وجاء بيان المستحقين للعذاب من

(٩٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/٢٤٢.

(٩٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: للطبري ١/٢٤٤، والبداية والنهاية: لابن كثير ١/١٧٢.

(٩٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٥/٣٥٤.

(٩٥) جامع البيان ١٥/٤٠٣.

(٩٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٤٠٣.

(٩٧) التحرير والتنوير ٢٠/٢٤٣.

د.مي بنت عبدالله الهدب

- جم ◻ حم ◻ خم ◻ [الحجر:٦٥] (١٠٩)، وتُهو عن النظر مخافة تعلق النفس بمن خلفها، وقيل: بل لئلا تتفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها وطرحها (١١٠).
٧. تعيين وقت العذاب في خطابهم، وتقريبه، فقالوا: ◻◻◻◻◻◻◻◻ [هود:٨١]، وفي أثر ذلك يقول ابن عطية (ت ٥٤٢هـ): (قالوا له: ◻◻◻◻ أي: بهذا أمر الله، ثم آنسوه في قلقه بقولهم: ◻◻◻◻) (١١١)، ويقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (قربوا له هلاك قومه تبشيراً له) (١١٢).
٨. تطمينه بمعبة جبريل عليه السلام في إرشاده للوط ومن معه، وموضعها في الخطاب قولهم: ◻◻◻◻ [الحجر:٦٥]، فقد قيل في معناها: "حيث يأمركم جبريل" (١١٣)، وقيل: كأنه كان معهم من يهديهم السبيل (١١٤)، وعلى كلا القولين يتحقق اطمئنان لوط عليه السلام بالمعبة أو الهداية.

المطلب السادس: خطاب الملائكة عند الاحتضار.

يعدّ الاحتضار من مواطن الشدة والكرب على الإنسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى خطاب الملائكة للمؤمنين في ذلك المواطن الخاص، ويظهر أثر هذا الخطاب في تحقيق الطمأنينة بما يأتي:

١. افتتاح الخطاب بالسلام، كما بيّنه تعالى بقوله: *أُتْهِمُ جَمِ ◻ حَمِ ◻* [النحل:٣٢]، وفي هذا السلام أقوال، منها: أن المعنى التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة (١١٥)، ومنها: أنه تبشير لهم باللجنة،

(١٠٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٣٣٨/٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي ١٩٠/٢-١٩١.

(١١٠) ينظر: المحرر الوجيز ٣/٣٦٨، ومفاتيح الغيب ١٨/٣٨١.

(١١١) المحرر الوجيز ٣/١٩٦.

(١١٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٩.

(١١٣) زاد المسير ٢/٥٣٧.

(١١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٤/٥٤٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٢.

(١١٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٩.

د.مي بنت عبدالله الهدب

٣. تضمين الخطاب البشارة بالعاقبة، وذلك في قولهم: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ [النحل: ٣٢]، أي: "صبروا إلى الجنة، بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة" (١٢٤)، والتعبير بقولهم: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ مع كون المؤمن في حال الاحتضار فيه تحقيق وقوع هذه البشارة، يقول الرازي (ت ٦٠٦ هـ): (إن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم، وكأنهم فيها، فيكون المراد بقولهم: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ أي: هي خاصة لكم كأنكم فيها) (١٢٥)، ويشهد لحصول هذه البشارة -أيضاً- قولهم: $\text{أَنِي} \square \square \square \square$ [فصلت: ٣٠]، وقولهم بعد ذلك: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ [فصلت: ٣١]، ومعنى تدعون: أي تتمنون، وعدم الاكتفاء بعطف $\square \square \square$ على $\text{سَمَّ} \square \square \square$ للإشباع في البشارة، والإيدان باستقلال كل منهما (١٢٦)، والبشارة بالجنة هي ذاتها، لكن صورها في خطاب الملائكة قد أفادت معنى جليلاً يورث في القلب سروراً واستبشاراً بما يقدم عليه المؤمن، فقد ارتبطت في الموضوع الأول بقولهم: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ [النحل: ٣٢]، فيطمئن المؤمن بفضل الله عليه وقبول عمله، وارتبطت في الموضوع الثاني بقولهم: $\text{أَنِي} \square \square \square \square$ [فصلت: ٣٠] فيطمئن المؤمن بتحقيق ما وُعد به في الدنيا.

٤. التصريح في خطابهم بالولاية للمؤمنين، وذلك بقولهم: $\text{أَنِي} \square \square \square \square$ [فصلت: ٣١]، وقد اجتمعت في خبر هذه الولاية أمور، منها: أن هذه الولاية في حقيقتها تعريف من الملائكة بأنفسهم تأنيساً للمؤمنين (١٢٧)، وقد ذُكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم في الدنيا (١٢٨)، ومنها: أن الإخبار بهذه الولاية قد جاء بقول معترض بين صفات الجنة، فقد قالوا قبلها: $\text{أَنِي} \square \square \square \square$ [فصلت: ٣٠]، وقالوا بعدها: $\text{سَمَّ} \square \square \square$ [فصلت: ٣١-٣٢]، وبذلك يتحقق المؤمنون أن بشارتهم بالجنة بشارة محب يفرح لحبيبه

(١٢٤) جامع البيان ١٧/١٩٨، ونسب الرازي القول بوقوع هذه البشارة عند قبض الأرواح إلى أكثر المفسرين، ينظر: مفاتيح

الغيب ٢٠/٢٠٣.

(١٢٥) مفاتيح الغيب ٢٠/٢٠٣.

(١٢٦) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨/١٣.

(١٢٧) ينظر: التحرير والتنوير ٢٤/٢٨٥.

(١٢٨) ينظر: جامع البيان ٢١/٤٦٧.

د.مي بنت عبدالله الهدب

أهلها، وقيل: إنه النفخة الآخرة التي يقوم بها الناس من قبورهم^(١٣١)، ويشهد لهذا القول قول ابن عباس م (ت ٦٨ هـ): «الفرع الأكبر النفخة الأخيرة، بدليل قوله عز وجل: ﴿أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا أَنْفُسًا فِي الْأَرْحَامِ فَأَنذَرْنَاهُمْ أَنفُسَهُمْ فَانقَلَبُوا كَانِثِرِينَ﴾» [النمل: ٨٧]»^(١٣٢)، وقد رجّحه الطبري (ت ٣١٠ هـ) فقال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة؛ وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعده أخرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده)^(١٣٣)، وفي هذا الموطن الذي تتأكد فيه الحاجة إلى الطمأنينة كان خطاب الملائكة في استقبالهم: ﴿الأنبياء: ١٠٣﴾، يقول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ): (أي: تتلقاهم بالبشرى، وتقول: لهم: هذا يوم كرامتكم التي وعدتم في الدنيا على طاعتكم، وهذا قبل أن يدخلوا الجنة)^(١٣٤).

وقد دلّت ألفاظ هذا الخطاب على مقصوده، فكانت الإشارة باسم إشارة القريب؛ لتعيين اليوم وتمييزه بأنه اليوم الحاضر، أي: هذا يوم تعجيل وعدكم، وإضافة (يوم) إلى ضمير المخاطبين؛ لإفادة اختصاصه بهم، وكون فائدتهم حاصلة فيه^(١٣٥)، ولما كان إيمان المؤمنين بهذا اليوم هو من إيمانهم بالغيب، والتصديق بوعد الله الذي جاء به المرسلون في الدنيا، ناسب أن تستقبلهم الملائكة في أول مواطن الآخرة ببشرى هذا الوعد، ووقوع هذا الغيب، ولا شك أن النفس تسكن بتحقق الوعد لها بعد تعلقها به.

٢. الثناء في الخطاب على نفس المؤمن بما يورث الطمأنينة، وذلك في قولهم: ﴿الفتح: ٢٧-٢٨﴾، وقد اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا الخطاب، فقيل: إنه عند الموت، وقيل: عند البعث^(١٣٦)،

(١٣١) ينظر: جامع البيان ١٨/١٨-٥٤١-٥٤٢، وزاد المسير ٣/٢١٥.

(١٣٢) أورده البغوي في تفسيره ٣/٣١٩.

(١٣٣) جامع البيان ١٨/٥٤٢.

(١٣٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/٤٨٢٣.

(١٣٥) ينظر: التحرير والتنوير ١٧/١٥٧.

(١٣٦) ينظر: جامع البيان ٢٤/٤٢٤، ومعالم التنزيل ٥/٢٥٣.

د.مي بنت عبدالله الهدب

٢. تأنيس المؤمنين قبل دخول دارهم، وذلك في قول الملائكة: ﴿أَقْبَلُوا﴾ [الزمر: ٧٣]، و﴿أَقْبَلُوا﴾ "دعاء بالطيب لهم، أي: التزكية وطيب الحالة" (١٤٣)، وكان دعاء الملائكة للمؤمنين بما يلائم حالهم عند أبواب الجنة، فإنها "الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون" (١٤٤)، وقد ختموا خطابهم بما يطمئن معه المؤمن بدوام النعيم فقالوا: ﴿أَقْبَلُوا﴾.

المطلب الثاني: خطاب الملائكة بعد دخول الجنة.

أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه عن خطاب الملائكة للمؤمنين بعد دخول الجنة، ولا شك أن الطمأنينة قد تحققت لهم في تلك الحال، غير أن ما جاء في خطاب الملائكة من أسباب الطمأنينة، يعدّ زيادة في نعيمهم وأنسهم، وزيادة في اطمئنانهم بما ظفروا به من النعيم المقيم، ويظهر أثر هذا الخطاب في زيادة الطمأنينة بما يأتي:

١. السلام على المؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿أَقْبَلُوا﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقد فسّر هذا السلام بأنه تحية متضمنة التهنة لهم، قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): (عند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام) (١٤٥)، وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ): (يهنئوهم بالسلامة، وكرامة الله لهم، ويقولون: تُنِي نِيَّ، أي: حلّت عليكم السلامة، والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب) (١٤٦)، ومن المفسرين من خصّه بمعنى الدعاء، قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): (سلام عليكم: خير،

(١٤٣) التحرير والتنوير ٧٢/٢٤.

(١٤٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٠.

(١٤٥) تفسير القرآن العظيم ٤/٥١١.

(١٤٦) تيسير الكريم الرحمن ص ٤١٦.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

معناه: الدعاء لهم، أي: سلّمكم الله بما صبرتم، وليس هو تحية^(١٤٧)، وإذا كان هذا السلام قد جاء الإخبار عنه في مقام النعيم، فلا يبعد أن يكون مشتقاً على هذه المعاني كلها، والله أعلم. ولهذا السلام خصوصية، فهو "مكرمة من الله عز وجل لأهل الجنة"^(١٤٨)، وقد جاء مقروناً بحال خاصة من أحوال الملائكة فيها، حيث قال تعالى: ﴿...﴾ قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): (وجملة: ﴿...﴾ عطف على: ﴿...﴾ فهي في موقع الحال، وهذا من كرامتهم والتنويه بهم، فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه، وذكر ﴿...﴾ كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم... ذلك أن الدخول لما كان مجلبة مسرة كان كثيراً في الأمكنة^(١٤٩)، فاقتران السلام بهذه الحال فيه مزيد نعيم، وتأنيس للمؤمنين.

٢. الثناء على أهل الجنة بحسن عاقبتهم^(١٥٠)، وذلك في قولهم: ﴿...﴾ [الرعد: ٢٤]، ونعم: كلمة مستوفية لجميع المدح^(١٥١)، والعقبى: العاقبة، وقد اشتهر استعمالها في آخرة الخير^(١٥٢)، والمعنى: فنعم عقبى الجنة عن الدنيا، وقيل: فنعم عقبى الجنة من النار^(١٥٣).

٣. تطيب أنفس المؤمنين بما لهم من النعيم، والفضل من الله، جزاء على أعمالهم، قال تعالى: ﴿...﴾ نهم^(١٥٤)، وعلى القول بأنه من خطاب الملائكة للمؤمنين فإن فيه زيادة في نعيمهم بتذكيرهم بفضل الله عليهم بدخول

(١٤٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٧٢٨/٥.

(١٤٨) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣.

(١٤٩) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٢/١٣.

(١٥٠) المرجع السابق ١٣٠/١٣.

(١٥١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٧٢/١، والمفردات في غريب القرآن ص ٨١٥.

(١٥٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٠/١٣.

(١٥٣) ينظر: النكت والعيون ١٠٩/٣.

(١٥٤) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٤٤/١٤، والبحر المحيط ٥٤/٥.

د.مي بنت عبدالله الهدب

الجنة، والمعنى: "بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة، وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم" (١٥٥)، وقولهم ثم أي: كنتم الوارثين لها (١٥٦)، وقد أعطيتموها عطية هنيئة (١٥٧)، وفي التعبير بالميراث دلالة على تخصيصهم بهذا النعيم والفضل من الله تعالى، كما يختص الميراث بأهله.

الخاتمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على ما تفضل به من إتمام العمل وتيسيره، وفي ختام هذا البحث الخّصّ أبرز نتائجه فيما يأتي:

١. أن السكون هو القدر المشترك بين المعنى اللغوي للطمأنينة والمعنى الاصطلاحي.
٢. أن الطمأنينة أقوى في دلالتها من السكينة؛ لأن الطمأنينة دائمة، ويخالطها الأُنس، وهي بذلك أليق بأن تكون أثرًا من آثار خطاب الملائكة في القرآن.
٣. أن خطاب الملائكة في القرآن الكريم قد اختلف باختلاف المخاطب، ولكل خطاب دلالة وأثره.
٤. أن خطاب الملائكة للمؤمنين يُعدّ من أهم أنواع خطاب الملائكة في القرآن لتعدد مواضعه، واختلاف موضوعاته، وهو خطاب ممتدّ وعظيم الأثر.
٥. أن دور الملائكة في تحقيق طمأنينة المؤمن هو دور شامل لأُمور المؤمن في الدنيا والآخرة، وهو متأكد في خطابهم في حال الفرح، والابتلاء، والفرح، وغيرها من الأحوال.
٦. أن للمفسرين دورًا بارزًا في كشف آثار خطاب الملائكة في القرآن، وبيان دلالة ألفاظه على وجه دقيق.
٧. أن السمة الغالبة لخطاب الملائكة هي مراعاة حال المخاطب، وتلبية حاجته، في بلاغة وإيجاز.
٨. أن الوقوف على خطاب الملائكة للمؤمن، ودراسة أثره، يزيد من محبة المؤمن وولايته لهم.

(١٥٥) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٤١٦/٣.

(١٥٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٢٨٩.

(١٥٧) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٠/٨.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

ومن أبرز التوصيات:

١. العناية بالدراسات الموضوعية على وجه عام، والدراسات في الخطاب القرآني بصفة خاصة.
٢. دراسة أنواع الخطاب الأخرى الواردة في القرآن كخطاب الملائكة لله تعالى، وخطابهم لغير المؤمنين، وخطاب الجنّ، وغير ذلك.

د.مي بنت عبدالله الهدب

The angels' speech in the Qur'an and its effect on the believer's inner peace

Dr. May Abdullah Al-Hadab

Assistant Professor/ Department of Quran and Its Sciences

The College of Fundamentals of Religion

Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Summary:

This research is concerned with explaining the speech of the angels - may peace be upon them - and its effect on the inner peace of the believer. This research aims to collect what were differentiated from the places of angels' speech to the believers in the Qur'an and classify them according to the topics related to them. It also aims to highlight the effect of the angels' speech in achieving inner peace by examining the words of this speech, and explaining the sayings of the interpreters who stipulated inner peace as an effect of this The speech, and in this research I followed the inductive analytical approach, and concluded with conclusions, including:

- That inner peace is stronger in its connotation than tranquility. Because it is permanent, and happiness is associated with it, and thus it is appropriate to be an effect of the angels' speech in the Qur'an.
- The angels 'speech to the believers is one of the most important types of angels' speech in the Qur'an because of its multiple positions and different themes, and it is an extended and has a great impact.
- The role of the angels in achieving the believer's inner peace is a comprehensive role for the affairs of the believer in this world and the hereafter, and it is confirmed in their speech in the event of joy, affliction, panic, and other situations.
- The interpreters have a prominent role in revealing the effects of angels 'speech in the Qur'an.
- Understanding the angels' speech to the believer, and studying its effect, increases the believer's love and loyalty to them.
- Among the most prominent recommendations are: Paying attention to objective studies in general, and studying other types of speech mentioned in the Qur'an, such

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

as the angels' speech to God Almighty, their speech to non-believers, the speech of the jinn, and so on.

Key words: speech - angels – inner peace - the believer.

د.مي بنت عبدالله الهدب

فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
٣. البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٤. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٦. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
٧. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٨. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٠. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

١١. تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد (ت ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
١٢. تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٣. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١ هـ)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ.
١٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٨. الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى (ت ٩٢٦ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
١٩. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٢٠. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

د.مي بنت عبدالله الهدب

٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٢٢. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٣. العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الرمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٢٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٧. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٨. محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٠. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

خطاب الملائكة في القرآن وأثره في طمأنينة المؤمن (دراسة موضوعية)

٣١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
٣٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٣. معالم التنزيل، البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٤. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل شلي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة.
٣٦. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٣٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٨. مقاييس اللغة، الرازي، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٣٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤٠. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: علي دروج، ترجمة: عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٤١. النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

د.مي بنت عبدالله الهدب

٤٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، القيسي، مكّي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، حُقق في مجموعة رسائل علمية بجامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

.٤٣